قصة "الغورنيكا"

تأليف/ ديف بولينغ
ترجمة: ابتسام عبد الله

في نيسان عام ١٩٣٧، قبل ميغيول نافارو زوجته ميرن وطفلته كاتإلينا، وودعهما قبل ان ينطلق الى التلال آملاً صيد بعض الاسماك او الارانب . شيء ما يقدم اللحم لاسرته ، اما زوجته ميرن وابنته كاتإلينا فقد توجهنا نحو سوق الاثنين في المدينة الاسبانية غورنيكا لشراء أي طعام ممكن العثور على ه في الزمن الصعب الذي اخذ يزداد سوءاً، خلال الحرب الاهلية وكان من المفروض ان تنضم العائلة الباسكية الصغيرة الى والدي ميرن في وقت لاحق من اجل تناول الغذاء قبل ان تغادر مع ابنتها بلدتها في اليوم التإلى ، بواسطة القطار ،للبحث عن سكن مؤقت في بلباو الآمنة. وفي ذلك الصباح نفسه، استيقظ العميد الالماني وولغرام فون ريجثو فن مبكراً قبيل الفجر منتظراً مع فقدان الصبر عودة طائرات الاستطلاع بسبب رداءة الجو.. وقد احس بعدئذ بشيء من الراحة لعلمه ان التنبؤات الجوية تشير الى طقس مثإلى بعد الظهيرة.. فالرؤية ستكون ممتازة وهو قد خطط لعدة عمليات قصف جوي لغورنيكا، التي تقع عند ملتقى طرق عدة في الباسك، كانت غورنيكا بالنسبة إليه مدينة صغيرة الاهمية، فيما عدا كونها مكاناً صالحاً للتمرن على القصف الجوي وزيادة الخبرة للتأهيل الحرب الثانية. ما حدث في اليوم الربيعي ذلك، كما هو معروف ، المذبحة الشهيرة التي ذهب ضحيتها زهاء ١٦٠٠ شخص من المدنيين الابرياء. "الغسق" كتاب قام بتإليفه الصحفي ديف بولينغ ، المحرر في صحيفة توسكوما نيو تربيون ، والذي سافر مع احدى فرق كرة القدم الى اقليم الباسك وتزوج هناك احدى الفتيات واصبح شديد الرغبة بثقافة الاقليم ومعاناة سكانه، تلك الرغبة دفعته لتإليف ، "الغسق". لقد عانى سكان الباسك إثر مطالبتهم بالانفصال عن اسبانيا ، وبما ان الدول الاوربية كانت تختار الاطراف التي تنحاز إلى ها في خلال الحرب الاهلية الاسبانية والتي بدأت بعد انقلاب عسكري ضد الحكومة إلى سارية عام ١٩٣٦، وبسبب تلك الاوضاع اصبحت الحياة تسوء وتصبح اكثر صعوبة مع مر الايام ، ويصور ديف بولينغ ، تلك المعاناة عبر تلك الاسرة وحياتها عبر نصف قرن ابتداء من ١٨٩٣ وحتى الاعوام الاولى من الحرب العالمية الثانية، والحكاية المأساوية التي يسردها عن معاناة الباسك وتلك العائلة يمكن مقارنتها بقصة "المريض الانكليزي" عندما يتلازم الحب مع الحرب، وتتحرك الشخوص في اجوائها، مضافاً إلى هم شخصيات حقيقية اخرى ومنها بابلو بيكاسو والضابط الالماني الذي اعطى الاوامر بقصف غورنيكا ، ومن المعلوم ان بيكاسو هو الفنان الذي خلد مأساة البلدة الصغيرة في ذلك اليوم.

وفي كتابه ينتقل بولينغ من مكان الى مكان، ينسج حكاياته مع مرور الاعوام في غورنيكا، اما الفصل الاضخم في مؤلفه فيركز على احداث ذلك اليوم الذي حدث فيه القصف الجوي وهي المأساة التي خلدت البلدة الصغيرة.

الارض من بعدنا : أي إرث سيخلِّفه البشر في الصخور؟

علم المستقبل ليس كما هو معتاد دائماً ، فالمسرحيات الموسيقية الفضائية التي تملأ المستقبل بإمبراطوريات ما بين المجرّات او مدينة الرذيلة (عكس المدينة الفاضلة) الويلزية التي تصوّر انكفاءاً ما قبل التكنولوجيا تستثمر بشكل نموذجي بالكاد وقتاً اكثر من لمحة جيولوجية ، ويلمِّح [جان زالاسيويتش] بأننا نحصل على وجهة نظر اكثر قليلاً ، وكعالم في جامعة [ليسيستر] يتفرس من أجل الرزق في اللجة الدوارة للزمان العميق حيث ملايين السنين تمضي كأيام .

تأليف/جان زالاسيويتش
ترجمة: هاجر العاني

و[الارض من بعدنا] يفحص الارث الممكن للجنس البشري على هذا المقياس الزمني الجيولوجي فـ (٩٩٪) من الفصائل المُعتقَد دائماً بانها كانت موجودة (ونحن نحزر بشكل طائش هنا) منقرضة الآن ومن المحتمل ان تكون منقرضة من دون أثر لها ، فلماذا ينبغي ان يكون وضعنا مختلفاً ؟ وقد يتنبأ المتفائلون الانجيليون (البروتستانتيون) بنوع من الخلود المعزَّز رقمياً بحلول نهاية القرن غير انه حتى بعض المعلقين الجادين يتصورون بأن هذا القرن هو قرننا الاخير ، وبينما يغني كلاهما اللازمة الانانية بأننا نعيش في أزمان فريدة من نوعها فدرجات الحرارة العالمية ومستويات البحار المستمرة في الارتفاع وثلوج البحار المتلاشية وعدد السكان المتزايد والانتشار النووي المتجدد تبدو بالفعل أنها تتحكم بالامور لصالح المتشائمين .

لذا يُفترَض – سواءً بسبب التغير المناخي او الحرب او الوباء – إننا نتلاشى ، ويقول [زالاسيويتش] فلتنسَ الصور الشنيعة للمواقع المسوَّدة او المغمورة بالفيضان وترى الحال بعد (١٠٠) سنة من الآن ، وسيكون قد تم محو سجل الاعمال والاحداث فالريح والمطر وطحن الصفائح التكتونية١ ستزيل كل علامات البشرية من على سطح الكوكب ، وكل الأمم جنسنا وحماقاته ستكون مضغوطة في طبقة جيولوجية واحدة لا تكون في بعض البقاع أكثر سُمكاً من ورق سيجارة وفي بقاع أخرى تكون مفصولة حَرفياً الى ذرات فيما تبتلع الارض المضطربة قشرتها.

وتدخل بقايانا الفانية آنذاك يانصيباً جيولوجياً ، والحركات العميقة الكسولة التي تزوَّد بالطاقة تغييرات الصفائح التكتونية لا يمكن التنبوء بها اكثر مما ينبغي لتبيان شكل القارات بعد هذا الدهر الطويل ، فالقارات قد تصبح محيطات والعكس بالعكس ولا يمكننا ان نحزر فيما اذا كان سيتم الزج بلندن او لاسا او لاس فيغاس في الجحيم المضطرمة ام سيتم كبسها قليلاً بأعماق ضحلة في طبقات رسوبية ، وآثار بعض المدن وهي تتحمل المصير الاكثر اعتدالاً ستنتظر اكتشافاً من اشخاص مستقبليين كـ [زالاسيويتش] بمطارق جيولوجية في أكفهم .

وقبل التنقيب عن هذه العظام يعتبر المؤلف الشكل الاكثر شيوعاً من البصمات التي سيخلّفها البشر ربما طبقة سُمكها بضعة مليمترات في طبقات صخور مكشوفة ، وهذا يحل محل خاتمة الكتاب الاكثر تعبيراً ، هل سيلاحظ علماء الجيولوجي المستقبليون كذلك خلاصة كل التاريخ البشري المضغوطة هذه ؟ آه سيفعلون ، والتغيرات البيئية المشكّلة لدينا الآن والتي نلتزم بها بالفعل في المستقبل ستجعل هذه الطبقة ليست شريحة من الافعال الشريرة مُقحَمة بين عصور البراءة وحسب بل علامة بين نوع من الكواكب وآخر ، والانقراضات الجماعية وتغير مستوى سطح البحر وتحمُّض المحيطات وتدمير الشعب المرجانية – كلها تجعل الرُّقية القصيرة الحالية للهيمنة البشرية الموضوع على ها علامة [مركز البشر]٢(أولاً ولكن ليس الآن نصفها مزاح) [تجعلها] فترة انتقالية لمنافسة بعض تغييرات الماضي الجيولوجية الكبيرة .

و يتم اختيار امتداد الزمن المستقبلي هنا بعناية مما يقدم قياسات للحد الجيولوجي الغامض قبل (٦٥) مليون عام عندما تلاشت الديناصورات ، وفي هذه الحالة يبدو ان تأثير نيزك عملاق قد لعب دوراً مبيداً ليس للسحالي الكبيرة وحسب بل كذلك على الاقل ثلاثة أرباع كل الفصائل التي كانت موجودة على الكوكب ، وكما يوضح [زالاسيويتش] فإنه جيولوجياً سيكون تأثير البشر آنياً بقدر آنية تلك الكتلة من الانقاض الفضائية وربما بقدر تدميرها.

ونشأ هذا الكتاب من مقالة في [نيو ساينتست] وهذا يظهر من حين لآخر في الاكتساء الضخم بمادة الخلفية ، الا انه من المنعش رؤية ان الاهتمام يتم ايلاؤه الى فجوات الجيولوجيا الاقل فتنة مثل الانهيارات الطينية في البحار الفرعية المسماة الكدرة (المؤلف متخصص في الصخور الطينية) ، ونكتشف تماماً مدى تعقيد دورات تشابك النطاقات الجيولوجية والمائية والجوية الاحيائية على هذه المقاييس الزمنية الهائلة لكي يمكن للتأثيرات الضئيلة ظاهرياً مثل النمل الابيض وهو يشق طريقه ما بين الاشجار (يمكنها) ان تُحدث تغييراً مثيراً .

والتصور المؤطَّر للكتاب (فريق من علماء إحاثة اذكياء وشبيهين بالقوارض يحلون بالتدريج شفرة طبقة مركز البشر) يصبح غير مفحوص بعض الشئ ، وهؤلاء المحققون هم في الاساس زملاء المؤلف في مسك الفئران يتشاطرون الانشغالات والافتراضات ، وتخيلهم بطريقة أخرى قد يتيه في هراء خيال علمي ولكن على المرء ان يضع نصب عينيه بأن الحكايات التي نعيد تاليفها عن حتى التاريخ الحديث نسبياً (الامبراطورية الرومانية مثلاً) يشكّلها الحاضر ، ويصبح هذا الامر ذا صلة بشكل خاص عندما يتأمل [زالاسيويتش] بما يمكن صنعه من تفسيرات الثقافة البشرية من الدليل المتوفر ، وهو يستشهد بـ [ستونهينج] لتوضيح كيف ان الوظيفة في البناء العتيق يمكن ان تكون جلية ومع ذلك من المستحيل تثبيتها ، ولكن هنا كما هو الحال مع رسوم كهف [لازاو] في فرنسا او الكاتدرائيات الكبيرة فكل تفسير يميل الى منتج من أزمانه .

والصورة غير المستكشَفة بشكل غريب والتي تتكئ على هذه الدراسة هي تلك الخاصة بالممثل (تشارلستون هيستون) محدقاً بكرب في رأس تمثال الحرية وهو يضرب قبضته في شاطئ رملي في عالم إعتقده انه غريب ، وبالطبع كانت هذه الصورة تحاكي نموذج [أوزمانديـاس] التي صورها الشاعر [شيلي] في قصيدته المعروفة والذي يكون اعلان سلطته الاستعلائي فارغاً بعد ألفيات من ذلك الزمان ، ويقدم هذا الكتاب توضيحاً مقنعاً لـ [شيلي] ، ويقول [زالاسيويتش] " ما يكمن في صميم الانسانية " – أبرز مأثرنا– ربما لا يتوفر للحفظ" ، وسيتم محق معابدنا وهياكلنا ولن يخلّف [موزارت] و[غيته] أي أثر ، غير أننا بشكل جماعي سنكون قد أعدنا كتابة السجل الجيولوجي وكما يخلص المؤلف إليه قائلاً " ان الخلود سيكون قد فاز بقسوة".

عن الصانداي تايمز

١ التكتونية : المتعلقة بتشوه أديم الارض والقوى المؤدية إليه والاشكال الناشئة عن ذلك . قاموس المورد .

٢ اعتبار ان الانسان هو حقيقة الكون المركزية او افتراض ان الانسان هو غاية الكون القصوى. قاموس المورد.

٣ علم الاحاثة يبحث في اشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات او المستحاثات الحيوانية او النباتية. قاموس المورد.

امريكا في الخارج : تفحُّص ما فعلناه باسم الحرية

اسم الكتاب ـ فلك الحريات / امريكا والعالم

توجد فقرة متقنة ، بل دزينة او ما يقاربها من الصفحات في كتاب (تيد ويدمر) عن تاريخ السياسة الخارجية الامريكية والذي يتحدث فيه عن مدى ابتهاج المستكشفين لاكتشافهم التبغ عندما وصلوا الى العالم الجديد.

وهي مجفَّفة وملفوفة ومشعولة [السيجارة] لم تشر الخدعة الى شئ اقل من " حداثة الامريكيتين واثارتهما وخطرهما " كما يكتب المستر (ويدمر) ، ومن ثم يضيف هذه الملاحظة التعقيدية – تلك التي ، لاعادة صياغة تعلى ق (هوغو تشافيز) عن الرئيس (بوش) ، تفوح منها رائحة الكبريت" ذلك الشعور ما يزال موجوداً في كل مرة يتم فيها اشعال سيجارة ".

تأليف/ تيد ويدمر
ترجمة: المدى

وتبرز هذه الخطوط لأنها ، كمثل شريك الحياة المتيم ، تلقي شرارات وتبعث ضوءاً من زاوية ، كما انها تبرز لأنه في الوقت الذي تكون انت فيه على بعد مسافة قصيرة فقط في "فُلك الحريات" تكون الشرارات والضوء بالفعل شحيحة بشكل شاق ، وفي الواقع انت قد تكون اكتسبت بالفعل ذلك الشعور المحبط الذي يرافق الادراك بأنك في جولة طويلة وبطيئة ومضطربة ، وقد اشتريت علبة رطبة من سجائر (كاميلز).

ويقوم المستر (ويدمر) وهو كاتب خطابات للرئيس (بيل كلنتون) بأخذ عنوان كتابه من "وايت جاكيت [السترة البيضاء]" (صدرت عام ١٨٥٠) وهي رواية مغامرات بقلم (هيرمان ميلفيل) ، وقد كتب (ميلفيل) " نحن الامريكيون الشعب المميز المختار ، (بني) اسرائيل زماننا ، نحن نحمل فُلك حريات العالم " .

وكتابه هو عبارة عن نظرة عامة ملتوية للسياسة الخارجية الامريكية والافكار التي انعشتها مع اهتمام خاص ينصب على افعال امريكا (بعضها قذر وبعضها أدنى بكثير من ذلك) بإسم الدفاع عن الحرية.

وتبدأ جولته بأوائل المستكشفين ويقوم بوقفات مستورة في كل الملاحظات التصويرية ، وهي اعلان الاستقلال ومذهب مونرو واعتداءات الحرب المكسيكية والاستيلاء على هاواي وواقعية (تيدي روزفلت) مقابل مثإلى ة (وودرو ويلسون) ودبلوماسية (فرانكلين دي روزفلت) الفطنة وغزو خليج الخنازير وأزمة الصواريخ الكوبية ، وريغان ونهاية الحرب الباردة اذ يذكر القليل فقط .

و بالكاد يتم ذكر بلاوانا الاخيرة في العراق الى حين الخاتمة الا ان كل مشاهد الكتاب المطبوخة تتم تصفيتها من خلال احساس المستر (ويدمر) الغاضب باخفاقات السياسة الخارجية القائمة في عصر (بوش) .

وتبدأ مشاكل "فُلك الحريات" بكتابة نثر (ويدمر) ، واذا كنت تتساءل عن سبب ان السياسيين يبدون طنانين فإن جُمَل كاتب الخطابات السابق هذا تعلى مية ، وتحوي الكثير منها نوع الحشو اللفظي ("قد أناقش " و"لقد حاولت أن أعرض" و"من الجدير بالاشارة إليه" و"أود ان أوضح" و"يمكن طرح جدال عن" و"من الجدير الاقرار مجدداً بـ") الذي يقمع التأليف الحقيقي ، وهذه العبارات تعطي الكتاب صفة التخبط في العرق لطالب في السنة الثانية من كلية يطيل بالحشو بحثاً مطلوباً خلال فصول السنة الدراسية ، وكل ذلك المفقود هي الشكل الكبير والهوامش العريضة وكومة كريهة الرائحة من الاشياء الفارغة.

كما انه يتفق ان يكون المستر (ويدمر) متصفاً بالادمان على الحقيقة البديهية .

وتقريباً كل صفحة من "فُلك الحريات" تحتوي استنكاراً مثل " لا يمكن ان يكون هناك انكار بأن الاستقلال كان انجازاً استثنائياً " (تسلم ذلك) او "لا أرى سبباً لعدم التحري عن اخطائنا بالكامل بقدر التحري عن انتصاراتنا" (مؤرخ شجاع!) او (الماضي في كل مكان لو اننا نفتح عيوننا لنراه " (خ خ خ خ – شخير).

وتتكدس الكليشيهات – ايضاً – تجاه السماء المصبوغة باللون الارجواني ، اذ تباع الكتب هنا "كالكعك الطازج" وانه "يا أزمة اشتدي تنفرجي" وتقترب الحرب بـ "قرع طبول دائم" وتنمو الاقتصادات "بسرعة فائقة" و"بسرعة خطرة الى ابعد حد" وتفتح العبودية "علبة ديدان جديدة" و تدعو السياسة الى "وقائع" ، ويسجل المستر (ويدمر) نقاطاً اضافية مضادة للاسلوب للنشر غير الساخر لكلمة "هراء".

وقد يبدو كل هذا جائراً ، ومن الممكن التجول على طول أي كتاب وتمييز خطوط رديئة قليلة ، الا ان النثر الركيك ومفرط العاطفة للمستر (ويدمر) هو عبارة عن المرق الرغوي المستمَد من التفكير الركيك ومفرط العاطفة.

ومراراً وتكراراً (ومراراً) في "فُلك الحريات" يكتب المؤلف نوع فقرات "هذا من ناحية / ومن ناحية اخرى" التي تبيع السلع المسروقة والتي تحارب نفسها للفت الانتباه ، وطريقته المعتادة هي المشي بانحراف الى قضية ما ومهاجمة اطراف رأي بخصوصها ومن ثم الاسراع بأمان الى وسط الرأي .

ويكتب بصيغة نموذجية حيث يقول " في أحسن أحوالها ساعدت الـ (سي آي أي) [وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية] الرؤساء على البقاء يقظين للمعضلات المتغيرة على الدوام في عالم خطر وعمَّقت تلك المعضلات". إضرب تلك الجمل بعدة مئات وستعلم كيف يكون قضاء الوقت مع "فُلك الحريات".

وفي ختام كتابه توقف المستر (ويدمر) عن المواربة ، حيث يوجِّه تقييماً متملقاً تملقاً محرجاً لسنوات (كلنتون)

(وهو يعترف بخجل " أدرك ان وجهة نظري بالكاد تكون موضوعية") قبل الانتقال الى خاتمة عن العراق.

وقد ادخر المستر (ويدمر) افضل الامور الى النهاية ، فخاتمته هي مقالة قوية جداً مرصعة بالنجوم عن بُعد انحراف الولايات المتحدة عن أنبل تقاليدها التي تخص السياسة الخارجية.

ونثر المستر (ويدمر) يستجمع الخيوط الالفية التي جمعها خلال "فُلك الحريات" ويوحي – لبعضهم اليوم – بأن "الحرب التي شنتها ادارة (بوش) لا تشبه النزاع الذي تم وصفه في " سفر وصف نهاية العالم في الانجيل"، والادهى من ذلك اننا قد نشابه المسيح الدجال ("بوصفنا اننا قوة غازية ضخمة تمارس المقدرة العسكرية المرعبة") بقدر اكبر قليلاً مما نود . ويضم هذا النثر خطأ آخر قاسياً جداً ومتعذراً محوه حيث يكتب "ان اعادة قراءة اعلان الاستقلال يمكن ان يكون تمريناً (ممارسة) غير مريحة في مطلع القرن الواحد والعشرين حيث انه في ضوء ظهيرة معينة يمكن ان يُقرأ كإعلان ضد أنفسنا".

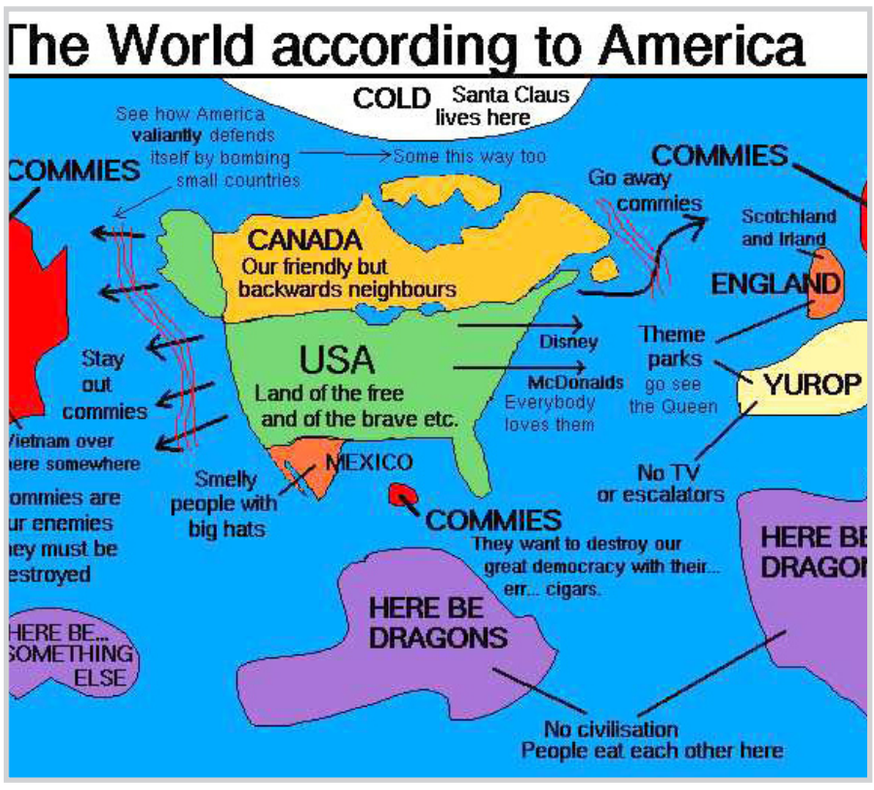

وراثة التجارة

تأليف: نرومان دي وولف
ترجمة: نادية فارس

اصبح توماس وولف في السابعة والاربعين من عمره قبل ان يكتشف الامر المخيف: فأحد اجداده ويدعى جيمس دي وولف ، كان رئيس اكثر العائلات نجاحاً في تأريخ أمريكا. فقد مولت عائلة دي وولف اكثر من 88 رحلة نقلت نحو 000.01 من الافريقيين الى العالم الجديد بصفة عبيد.

كان جيمس دي وولف يعمل نجاراً في كونيكتيكت ، ولكن هذه القرابة البعيدة لم تكن كافية لازالة الاحساس بالعار المتلازم مع اسم دي وولف وفيما بعد اكتشف جيمس طريقه للخروج من وصمة العار فاستغل تلك الفرصة.

لقد علم توماس ان قريبة بعيدة له من جهة والده تعمل في انتاج الافلام وتحاول جمع اكبر عدد من افراد العائلة للسفر الى مدينة بريستول (حيث عاش دي وولف الاول ومارس التجارة، ومن ثم الى غانا (كانت السفن تنقل تجارتها من البشر من هناك) وبعدها الى كوبا (حيث امتلك دي وولف مزارع عدة يعمل فيها العبيد).

لقد قررت كاترينا تقديم فيلم وثائقي عن تلك الرحلة التي تمت في عام 1002، من اجل اكتشاف ابعاد تلك الرحلات القديمة، وكانت النتيجة فيلم بعنوان (تتبع الأثر) تم توزيعه بشكل جيد ولاقى نجاحاً واهتماماً من الصحافة واجهزة الاعلام ، وكان الفيلم بمثابة تبرئة لاسم العائلة، وتكفيراً عن اخطاء احد اجدادهم.

وكتاب توماس دي وولف ، يتتبع تلك الرحلة ايضاً: كيفية انتاج وتصوير الفيلم ومجابهة اسئلة الاتهام والاحساس بالذنب اللذين يسيطران على افراد العائلة:

كيف يمكن اصلاح الاذى الذي نشأ من تجارة العبيد ؟ كيف نتخلص من ذلك العار؟ ما الذي يمكن ان نمنحه نحن البيض. تكفيراً لما فعلناه؟ هل يكفي منحنا المال؟ هل نحن مسؤولون عما فعله أجدادنا وما سيحدث مستقبلاً؟ تساؤلات كثيرة من قبيل محاسبة الذات تدور في ذهن المؤلف ويجيب عنها المؤلف ، دون ان يعرف القارئ ان كانت تلك المناقشات تضيف شيئاً الى ماحدث وان كانت الاحاديث والتساؤلات امراً مجرداً فان الفيلم الوثائقي لم يكن كذلك، ففي جزيرة رود، امضى فريق العمل فترة من الزمن متذكرين التجار الاثرياء الذين جاءوا لشراء العبيد ، اما في غانا فقد توقفوا عند زنزانات سجن استخدم لحجز الاسرى السود المذعورين ، وكان بالقرب من كنيسة وعندما انتهت الرحلة المذكورة عاد افراد الاسرة الى بلادهم، ويقول دي وولف ان ذكرى الرحلة تضاءلت حتى أصبحت نقطة في الذاكرة الان، ولكنه قبل ذلك سجل ذكرياته واصفاً مشاعرهم بالخجل والعار مما فعله الاجداد.